الأبعاد الجيوحضارية والجيوسياسية للظاهرة الإرهابية الجديدة في المنطقة العربية

د/ لزهر وناسي -أ/ نجيم حذفاني
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة باتنة 1

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تقديم مقاربة مزدوجة لفهم الظاهرة الإرهابية في المنطقة العربية والاسلامية، من خلال محاولة استجلاء الأبعاد الجيو حضارية والجيوبوليتيكية المفسرة لظهور وتنامي واتساع النشاط الإرهابي، واعتلائه لأجندة السياسة الدولية لفترة ما بعد نهاية الحرب الباردة، وما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. وارتباط ذلك بتفاعل الديناميات الجيو حضارية مع الأبعاد الجيوسياسية في سياق علاقات القوة، واستراتيجيات السيطرة والهيمنة والتنافس المحموم على المناطق الجيواستراتيجية، وفي إطار لعبة المصالح المتضاربة بين مختلق الفواعل في السياسة العالمية الراهنة. وذلك بكشف خلفياتها النظرية التي تشكل مرجعيات مهمة من الناحية الأكاديمية لقراءة وتفسير وفهم الظاهرة الإرهابية في حقل العلاقات الدولية.

Abstract

This article addresses terrorism approaches in Arabic and Islamic world and is of a twofold purpose. First it examine geo-civilization and geo-political implications of the terrorism layouts, the expansion of terrorism acts and the way this issue came to the top of international politics agenda in post-cold war and post 9/11. Second, the presumed synergy between geo-civilization / geo-political dynamics in the context of power politics; interests game and embedded competing strategies for hegemony between main actors of international politics. Finally, these papers review the theoretical backgrounds on the topic for understand the Meta trends of terrorism phenomenon in international relations area.

مقدمة:

ان تصاعد وتنامي الظاهرة الإرهابية في العلاقات الدولية بما أضحت تشكله من تهديد وجودي وجيوسياسي على كثير من الدول والمجتمعات تستدعي ضرورة إماطة اللثام عن المرجعيات النظرية التي يمكننا بها تفسير وقراءة الظاهرة الإرهابية في العلاقات الدولية، خاصة من ناحية التفاعل بين الأبعاد الجيوحضارية والجيوبوليتيكية، ودورها في استكناه مجالات التفاعل بين الإرهاب المحلي ومتغيرات النسق الدولي وعلاقات القوة والسيطرة والهيمنة التي تتحكم في العلاقات بين أقطاب وفواعل السياسة الدولية من أ جل السيطرة الجيواستراتيجية على المناطق الحيوية في العالم .و باعتبار العالم العربي والإسلامي يقع في منطقة جغرافية حيوية ومهمة من الناحية الجيوبوليتكية، عمدت القوى الكبرى؛ من جهة اولى ؛ إلى استغلال وتوجيه الحركات الإرهابية وتوظيفها جيوبوليتيكيا في مسعاها للسيطرة على المحاور والمناطق الجيواستراتيجية، وعلى الموارد الطاقوية التي تزخر بها المنطقة العربية والعالم الاسلامي، ومن جهة ثانية، تطرح تساؤلات حول: كيف مهدت الاستراتيجيات الجيوحضارية الطريق امام المقاربات الجيوبوليتكية في تشكيل الظاهرة الارهابية ؟، وتوظيفها في المنطقة العربية بوصفها تقع ضمن أطروحات الصراع الحضاري التي روج لها الغرب ضد العالم الاسلامي في مستوى اول بعد نهاية الحرب الباردة وصعود الحديث في الغرب عن العدو الضروري أو العدو البديل للشيوعية، وهي في ذلك تخفي نزوعا جيوبوليتيكيا للهيمنة والسيطرة عبر تلك المقولات وخلف ذريعة مواجهة الخطر البديل المتمثل في الخطر الاخضر بدرجة ثانية. وعليه حاولت هذه المقاربة الانطلاق من التساؤل الرئيسي التالي: إلى اي مدى تسهم القراءة التفكيكية للمرجعيات الجيوحضارية والجيوبوليتيكية لعالم مابعد الحرب الباردة في فهم واستكناه الانماط الجديدة للارهاب الدولي في المنطقة العربية؟، واللاجابة على هذه الإشكالية توخى لهذه الورقة البحثية الخطة التالية:

1 -تفكيك القراءة الجيوحضارية للظاهرة الارهابية الجديدة: حروب مقدسة جديدة

2 -جيوبوليتيك الطاهرة الارهابية الجديدة: ماوراء القراءة الجيوحضارية

3 -الظاهرة الارهابية الجديدة في العالم العربي: نحو فهم جيوبوليتيكي

4 -خاتمة

أولا: تفكيك القراءة الجيوحضارية للظاهرة الارهابية الجديدة: نحو قرون وسطى جديدة

1 -نبوءة الصدام بين الغرب والإسلام: حروب مقدسة جديدة

لا يتأتى فهم الديناميات المعقدة للظاهرة الإرهابية الجديدة في في العلاقات الدولية دون استجلاء التأسيسات الثقافية والفكرية والحضارية التي صاغت الأطر المرجعية للفعل الإرهابي وكرست منطق التصادم والتصدع المفضي إلى الانفصال الفسطاطي في مقولات الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب. بوصفه أكثر المفاعيل المتحكمة في تنامي الظاهرة الإرهابية واتساع نشاطها وتنامي حضورها خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر والحرب الأمريكية الأطلسية على الإرهاب، وما تبعها من حروب استباقية ضد الخطر الارهابي للتدخل في بلدان العالم الإسلامي والعربي عسكريا تحت ذريعة الحرب العالمية ضد الإرهاب والتطرف. الأمر الذي أفضى ديناميكية هائلة على مقولات الصراع وحتمية التصادم بين العالمين الغربي /الإسلامي، كما مثل تصديقا حقيقيا لأطروحة صراع الحضارات التي تطوي في داخلها رؤية تأسيسية لدور الدين والثقافة في رسم مشاهد السياسة الدولية لعالم ما بعد الحرب الباردة.

لقد كان لأطروحة صدام الحضارات صدى قويا، حيث فتحت منذ نشرها صيف 1993 سجالات ثقافية وسياسية وإستراتيجية حادة في أنحاء كثيرة من العالم، وأثارت ردودا متباينة وجدلا محتدما، وذلك في أجواء شبيهة إلى حد بعيد بتلك التي رافقت نظرية "نهاية التاريخ التاريخ" لفرانسيس فوكوياما صيف 1989. ومنحت الأطروحة

صورة سلبية دموية قاتمة عن العالم العربي الإسلامي وجعلت منه المصدر الرئيسي للعنف والإرهاب في العالم والمجال الأكثر صرامية وعداء للغرب ولباقي الحضارات.[1]

ثم جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001، وأعادت أطروحة صدام الحضارات إلى واجهة النقاشات الفكرية والسياسية في جميع مناطق العالم. وعلى اعتبار أن الأطروحة تهتم بشكل محوري بالعالم الإسلامي كمجال حضاري استراتيجي له موقعه المركزي في العلاقات الدولية المستقبلية فانها حاولت تسويق صورة سلبية عن الإسلام تساير الموجات الفكرية الغربية التي أصبحت تسعى جاهدة إلى التماهي بين الإسلام والعنف والإرهاب.[2]

إن المنطلق المركزي المحرك لأطروحة صدام الحضارات "هو تبنيها الصريح لفكرة اعتبار الحضارة" العامل الجديد الذي سيتحكم في سيرورة العلاقات الدولية. وبالتالي فالانقسامات الكبرى في العالم ستكون انقسامات ثقافية تتصادم في إطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة التي تجمع بين دول متعددة لها سلم قيم خاصة بها، سيكون المصدر الرئيسي للنزاعات في السياسة الدولية كالإثنية والدين والثقافة والهوية، التي ستكون أقوى محركات الجيوسياسية العالمية وأكبر باعث على الانقسامات الكبرى على أساس الحدود الثقافية، وأن خرائط العالم سيعاد رسمها وفقا لما يسميه "هنتغتون Huntington" بحدود الدم الحضارية[3]، وفي هذا الصدد يقول: « الفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا أيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، وستظل الدول –الأمم – هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسة العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسيات الدولية، وذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل» .[4]

وفي معرض حديثه عن تمايز الحضارات ثقافيا ودينيا، يفرد اهتماما خاصا بالإسلام والحضارة الاسلامية بوصفها تقع في الخط الأول كمصدر للصراعات والنزاعات القادمة في السياسة الدولية، ويرجع ذلك إلى عوامل ومسببات عديدة، منها: الحيوية الديمغرافيا الزاحفة للعالم الإسلامي كأحد مصادر النزاع الرئيسية في العالم، خاصة وأن التزايد الديمغرافي الكبير للمسلمين بين الفئات الشبانية سيزيد من حدة النزاعات بين المسلمين وباقي الشعوب عبر ظاهرة الهجرة، فضلا على أن القيم الاسلامية لا تنسجم مع القيم الديمقراطية والحداثة الغربية والمسلمون يعانون من صعوبة الاندماج وتقبل الآخر، لأسباب تتعلق بالثقافة الاسلامية التي تقسم العالم إلى قسمين: "دار الإسلام ودار الحرب". لذلك ؛ فالمسلمون هم غالبا متورطون في أعمال عنف مع الجماعات الثقافية المختلفة، كما يرجع إلى النزعة التوسعية في الإسلام القائم على السبف والجهاد، والروح الحربية لدى المسلمين تجاه المخالفين، وأن الانبعاث الإسلامي La Résurgence de L'islam أكبر مصدر للإرهاب العالمي وأكبر تهديد للغرب.(5)

وبالرغم من التحيز المعرفي والتهافت العلمي الذي وسمت به اطروحة صراع الحضارات منذ اعلان ''هنتنغتون عنها ''، الا انها اصبحت مرجعية نظرية صلبة لتفسيرالنشاط الارهابي الدولي، والذي يتغذى من مقولات الصدام الثقافي والديني بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية، بعدما تم ترجمة المقولات النظرية إلى سياسات تطبيقية في السياسات والاستراتيجيات الامنية والعسكرية الغربية نحو الجغرافيا الاسلامية والعربية منذ نهاية الحرب الباردة والاعلان عن النظام الدولي الجديد، وبداية الصراع عبر الغزو لثلاثيني الغربي للعراق في اطار حرب الخليج الثانية التي مثلت اولى الحروب الحضارية لعالم مابعد الحرب الباردة، بتعبير المفكر المغربي الراحل ""المهدي المنجرة".(6)

2 -فرضـــية العـــدو الضـــروري في القـــراءة الجيوحضـــارية للظـــاهرة الإرهابية: الخطر الأخضر

بعد نهاية الحرب الباردة، كان هناك ميل واضح نحو تعريف الإسلام بوصفه تهديدا أو عدوا جديدا للغرب بعد الشيوعية السوفياتية، وبعد أن اعتبر كل من نائب الرئيس الأمريكي "دان كويل" والأمين العام للحلف الأطلسي "ويلي كلاس" الإسلام علانية خليفة للشيوعية، ومن ثم التهديد الأكبر للأمن الغربي، اكتسب الحديث عن صدام الحضـــارات زخمـــا جديـــدا، وأضـــحى حـــديث الســـاعة في الأدبيـــات السياســـية والإعلامية الغربية.(7)

فإذا كان الأمين العام السابق للحلف الأطلسي "ويلي كلاس" لم يتردد في الإعلان صراحة على أن الإسلام هو عدو الغرب الجديد، ووضع حدا للنقاش الدائر حول مصدر العدو الجديد، ومن يكون، فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي سارعت الدوائر والمؤسسات الفكرية والرسمية الغربية إلى وضع الإسلام في مقدمة المخاطر والتهديدات على النظام العالمي الجديد. وتم تحديده بالكتلة الجغرافية والسكانية للعالم الإسلامي الممتد من شمال إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وجنوب آسيا وصولا إلى حدود الصين مع استثناء الهند وإسرائيل من هذه الكتلة، فحسب "بريجنسكي" فان هذا الحزام الجنوب للعالم الغربي هو مصدر التهديدات والخطر على القيادة الأطلسية لعالم ما بعد الاتحاد السوفياتي، لاعتبارات عديدة أهمها وجود قاسم مشترك بين كل شعوبه واثنياته يتمثل ذلك في الإحساس الموحد في كراهية الغرب.(8)

وقد طرح بعض المفكرين في تقويمهم للدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا التصور الغربي فرضية "العدو الضروري"، وهذه الأخيرة ليست كافية بذاتها لتوضيح أسباب التصعيد الأخير للتهديد المتخيل، لكن العمق التاريخي للمسألة ينبغي أن يؤخذ يعين الاعتبار فهناك تاريخ من النزاع بين الإسلام والعالم الغربي، وثمة تيار واسع في الغرب يروج لهذه الدعاوى، خاصة تيار المستشرقين الجدد، من أمثال برنار لويس، ودانيال بايبس، ومارتل كرامر، وصامويل هنتغتون الذين يروجون إلى تعبيرات مثل "هلال

الأزمات" والانبعاث العالمي الإسلامي، حيث أن العالم الإسلامي برمته الغني بالنفط والموارد، والذي يضم أكثر من مليار من البشر، يمكن أن يصبح خطرا يهدد المصالح الغربية بسبب عدم التوافق الحضاري والصراع المستمر بينهما.[9]

إن فرضية العدو الضروري، في الحقيقة ليست بسبب مزاعم حول تاريخ النزاع بين الإسلام والغرب، ولكن مرد ذلك إلى التضارب في المصالح الإستراتيجية والقومية، إذ لا يحس الغرب بالتهديد الإسلامي في السياق الديني إلا عندما تكون مصالح الدول الغربية بعينها مهددة كما أن فرضية العدو الضروري، تستخدم في تبرير أجندة داخلية تتعلق بالسياسات الداخلية التي تحتاج إلى دعم من مصادر الشؤون الدولية، إن عدم اهتمام العامة في الدول الديمقراطية (مثل الولايات المتحدة الأمريكية) بالشؤون السياسية العامة، والشؤون الخارجية على وجه الخصوص، حيث يركز العامة جل اهتمامهم على الشؤون الاجتماعية والاقتصادية الداخلية مثل استحقاقات الرعاية الاجتماعية وخفض الضرائب، ومنح الأولوية لمطالب الإنفاق العسكري والشؤون الخارجية، وهو ما يعني أنه في ظل غياب وجود تهديدات مباشرة يقلل من الاستثمار في الشؤون الدولية، والنتيجة الطبيعية لهذه النتيجة هو أن المدافعين عن التدخل الدولي لديهم ميل إلى المبالغة في تصوير حجم التهديدات الخارجية من أجل الحصول على الاهتمام والموارد اللازمة لتحقيق أهدافهم، ولعل ما جرى أثناء الحرب الأمريكية على الإرهاب (2001 -2015) هو خير دليل على ما أسماه جون فيدل ونعوم تشومسكي بـ« خلق التهديد الوهمي» .[10]

ثانيا: جيوبوليتيك الظاهرة الإرهابية الجديدة: ما وراء القراءة الجيوحضارية

تنطوي الظاهرة الإرهابية الجديدة على مفاعيل جيوبوليتيكية التوظيف من لدن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في إطار استكمال حلقات الحرب العالمية ضد الإرهاب مع تغيير في الإستراتيجيات والتكتيكات والأساليب لتعضيد الاتجاه الغربي الأطلسي في الهيمنة والسيطرة وقيادة السياسة الدولية.

فبعد الإعلان عن نهاية نظام الثنائية القطبية، والاتجاه إلى اعتماد عدو بديل للشيوعية والمتوجه حصرا إلى العالم الإسلامي، كما بينا في القراءة الجيوحضارية للتفاعلات الإستراتيجية الغربية وما أفرزته من تحولات بنيوية وهيكلية على النظام الدولي وقضايا السياسة الدولية، بما اشتملت عليه من تحولات في الجوانب الجيوسياسية والعسكرية والاقتصادية والقيمية ومفاعيل القوة وقد طال كل ذلك حركية التنظير لهذه المسائل ومتغيراتها.

فقد شهدت البنية الدولية في نهاية القرن الماضي سلسلة من التغيرات العميقة، كان أبرزها انهيار النظام الثنائي القطبية، وإنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على الشؤون الدولية. كما مثلت ظاهرة الإرهاب تطورا آخر لم يقتصر على طبيعة العمليات الإرهابية وإنما امتد إلى التحولات في النظام الدولي التي تتحرك الظاهرة في إطارها، وهو ما زاد في تعدد أشكالها، ومدى انتشارها، وتنوع أساليبها، وأنماطها، واتساع أحجامها وتعاظم قدراتها، على مستوى الاستراتيجيات، الوسائل والوسائل والتكنولوجيات ... الخ.[11]

1- أبعاد التحولات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة:

تعرضت العلاقات الدولية إلى عملية تحول جذرية على مختلف الأصعدة مباشرة بعد نهاية الحرب الباردة، واعتلاء المعسكر الغربي الأطلسي للولايات المتحدة الأمريكية تحديدا سدة قيادة سفينة العلاقات الدولية، وفي هذا الإطار شهد النظام الدولي تحولات في مختلف المتغيرات وطبيعة ودور الفواعل، وكذا طبيعة العلاقات القائمة بينها، مع بروز متعاظم لأهمية المؤشرات العسكرية والاقتصادية والثقافية والجيوسياسية على صعيد تفاعلات هذه العلاقات، في إطار ما أطلق عليه بالبيئة الدولية الجديدة، التي يقصد بها الإطار الناظم لمجمل التفاعلات والتدفقات بين وحدات النظام الدولي وأشخاصه، وأثر هذه التفاعلات على السياسات والأنظمة الوطنية والاقليمية والدولية. إن رصد هذه التحولات والتفاعلات والتدفقات من شأنه المساعدة على استكناه تأثير ذلك على بنية ونسق هذه التفاعلات على الوحدات

الدولية في مختلف الأبعاد الإستراتيجية والاقتصادية، والقيمية، وانعكاسات كل ذلك على علاقات التعاون والصراع والتنافس بين وحدات هذه البيئة الدولية، التي تخضع لمجموعة من العوامل كالإيديولوجية، والتكنولوجيا والأسلحة المتطورة والمصالح القومية، وامتلاك الموارد وإمكانات القوة ... الخ.[12]

ويمكن تحديد أهم التحولات في هذا الجانب في النقاط التالية:

❖ تحول بنية النظام الدولي وإعادة ترتيب مراكز القوى وفقا للبيئة الجديدة مع تبوأ الولايات المتحدة الأمريكية لمركز الزعامة العالمية.[13]

❖ الاتجاه إلى عسكرة السياسة الدولية بفعل نزوع الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة تعريف مصالحها وقيام ذلك على الاستعداد لشن الحروب العسكرية ضد الأعداء والمنافسين المحتملين والتأسيس لمنطق الحروب الاستباقية والتدخل الوقائي وإعادة رسم مناطق النفوذ الجيوسياسي ببعد جيواستراتيجي عالمي.

❖ تصاعد دور المتغير الاقتصادي في إطار العولمة الاقتصادية والنيوليبرالية الأمريكية والتبشير باقتصاد السوق والاقتصاد الشبكي القائم على الاعتماد المتبادل.

❖ ولعل من أبرز التحولات التي طالت النسق العالمي هو ذلك الذي حصل على مستوى القيم الأمر الذي قاد إلى صعود موجز من الشعارات والقيم الجديدة المتسقة مع مشروع النظام الدولي الجديد للديمقراطية وحقوق الإنسان ومبادئ الاقتصاد الحر التي بفضلها أمكن هزيمة الإتحاد السوفياتي حسب الأطروحات الفكرية الأمريكية والغربية، والعمل على هزيمة كل القيم التي تهدد انتشار القيم الأمريكية التي بشرت بها العولمة وتعميمها على أوسع مدى ممكن في العالم.[14]

وفي سبيل ذلك يمكن الاعتماد على مقاربة القوة الناعمة التي طورها الأكاديمي جوزيف ناي في أعماله العلمية.

❖ في التحولات الجيوسياسية انطوى على إعادة رسم دوائر النفوذ الضيقة مفارقة لعالم الثنائية القطبية عن طريق التدخل والسيطرة الاستباقية، والتحكم في المفاصل الجغرافيا الجيوالإستراتيجية على مستوى العالم، وكذلك احتلال مناطق إنتاج

الطاقة وممراتها في العالم الإسلامي والشرق الأوسط وشمال إفريقيا والقرن الإفريقي، وذلك تحت ذريعة محاربة الإرهاب العالمي الذي مصدره مناطق العالم الإسلامي وفقا لنظريات الحروب الاستباقية.

2 -التحـــولات في البيئـــة الدوليـــة وعلاقاتهـــا بالظـــاهرة الإرهابيـــة: عالم ما بعد 11 سبتمبر

لقد أعقب انتهاء الحرب الباردة حدثت كثير من التحولات في النسق الدولي كان عنوانها النظام الدولي الجديد التي أرست دعائمه الهيمنة الأمريكية ثقافيا وسياسيا واقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا على السياسة العالمية بعد انهيار نظام الثنائية القطبية والتحول إلى الأحادية القطبية، ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 لتزيد من وتيرة هذه للتحولات على مستوى ترتيبات الأمن العالمية في إطار الحرب العالمية على الإرهاب الذي بدأت شرارته بعد الهجمات على الولايات المتحدة الأمريكية من تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن، هذه الأحداث التي مثلت انعطافة غير مسبوقة في السياسة العالمية، والتي اتخذت كذريعة لإعادة رسم دوائر الهيمنة الأمريكية عن طريق القوة العسكرية للسيطرة على العالم وفرض ومنطق الأحادية القطبية وإعادة تعريف المصالح الأمريكية الأطلسية عبر العالم، وكان ذلك كله وراء ذريعة الحر العالمية ضد الإرهاب والتدخل الاستباقي العسكري المباشر في أفغانستان والعراق والصومال وكلها في مناطق العالم الإسلامي بوصفه عدوا جديدا، في سياق تنفيذ التوصيات الفكرية والتنظيرية التي أسست لهذا التوجه من خلال كتب ومقالات المحافظين الجدد، وكتابات صامويل هنتغتون وزبجينيو برجنسكي، وتوماس فريدمان ... وغيرهم، هذه التدخلات العسكرية أثارت موجة من ردود الفعل من قبل المنظمات الإرهابية والجماعات المتطرفة التي كانت ترى فيها نوعا من حروب صليبية جديدة موجهة ضد شعوب العالم الإسلامي الأمر الذي استغلته للتعبئة وإعلان ما تسميه بالجهاد المقدس ضد الصليبيين وضد هذه التدخلات، وهو ما أدى إلى صعود وتنامي هذه المجموعات الجهادية التي اتخذت من أساليب العنف والإرهاب

إستراتيجية لمواجهة هذه التدخلات استهدفت الأنظمة الداخلية والمصالح الغربية على امتداد العالم الإسلامي، وهو ما قاد إلى حالة من عدم الاستقرار في البيئات الوطنية والدولية على السواء.(15)

3 -تنامي الجماعات الإرهابية: من الإرهاب المحلي إلى الإرهاب المتعدد الجنسيات

كان يفترض في منظور الإدارة الأمريكية أن تؤدي حربها على الإرهاب إلى إضعاف الجماعات الإرهابية واستئصال شأفتها من أفغانستان، غير أن بعد مرور أكثر من 14 سنة على الغزو الأمريكي لأفغانستان، لم تستطع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها القضاء على ما نسميه بالحركات الإرهابية في أفغانستان، بل أدى ذلك إلى تنامي الحركات الإرهابية على امتداد العالم الإسلامي والنظام الدولي، وظهور أنماط جديدة وأجيال جديدة من المنظمات والجماعات المسلحة الإرهابية تتميز بكونها عابرة للقارات والدول والجنسيات، حيث لا تجمع عناصر تلك المجموعات والجماعات والمنظمات وقومية واحدة، وإنما إيديولوجية واحدة تحت ما يسمى الجهاد العالمي وأفضى ذلك إلى صعوبة تحديدها وتعقبها والحيلولة دون انتشارها، وتتميز هذه الأنماط الجديدة للمنظمات الإرهابية المسلحة بعدة خصائص نذكر منها:

- ❖ وضوح الأهداف السياسية من وراء التعبئة والإسناد.
- ❖ القتل والتخويف والترويع والترهيب اللامحدود.
- ❖ الاعتماد على المواد المالية والسيطرة الاقتصادية على البترول.
- ❖ التحالف مع دول إقليمية في المناطق العربية.

4 -التوظيف الجيوسياسي للإرهاب الدولي: الحروب على الطاقة والصراع على الموارد

باعتبار أن مستقبل النظم الدولية تحدده طبيعة العلاقات السائدة بين أقطابه سواء بالصراع أو بالتعاون، فان الصراع من أجل الهيمنة على النظام الدولي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ستحكمه نفس المعايير السابقة، منها السباق المحموم للسيطرة على مصادر الطاقة والموارد، ومما يلاحظ أنه تحت ذريعة محاربة الإرهاب

أمكن للولايات المتحدة الأمريكية السيطرة ومراقبة مناطق إنتاج الطاقة خاصة في العالم الإسلامي وحرمان منافسيها من ذلك. وكانت أولى حلقاتها في هذا السياق في الشرق الأوسط (حربي العراق وأفغانستان). تشتد وتيرة هذا الصراع في مناطق أخرى بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في إفريقيا جنوب الصراع وآسيا الوسطى والخليج العربي.(16)

فكثير من الدلائل حول التوظيف الجيوسياسي للظاهرة الارهابية خلف دعوى محاربة الإرهاب تشير إلى أن احتلال العراق سبقه اتهام جورج بوش الابن للنظام العراقي بدعم القاعدة والإرهاب في العالم لتبرير احتلاله فيما بعد والسيطرة على بلد يعد خزانا عالميا للبترول والطاقة. كما أن أبو مصعب الزرقاوي كان فيما بعد جزءا من خطة البنتاغون لنشر معلومات مظللة في عام 2003، وكان القصد من ورائها تبرير الغزو الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق وقد تأكد دور الزرقاوي المركزي كأداة في حرب الدعاية مؤخرا بواسطة وثائق عسكرية مسربة كشفتها صحيفة واشنطن بوست.(17) حيث وضع البنتاغون "برنامج الزرقاوي"، وتؤكد وثائق عسكرية أن دور الزرقاوي قد ضخم عن عمد بقصد تعزيز الدعم العام لـ " الحرب على الإرهاب" من طرف الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة.(18) ومن هنا يتجلى لنا الدور الجيوسياسي للحرب العالمية ضد الإرهاب في سياق الإستراتيجية الأمريكية للسيطرة والهيمنة على المفاصل والمناطق الجغرافية الحيوية وتوظيف ذلك في الصراع ضد الأطراف المناوئة للمصالح الأمريكية.

5 -الجغرافية السياسية للإرهاب الدولي: هلال الأزمات والبلقان العالمي

خلف دعوى الحرب العالمية ضد الإرهاب، أعادت الولايات المتحدة الأمريكية رسم خطط الهيمنة والسيطرة على محاور جيوبوليتيكية ومناطق جغرافية مهمة من الناحية الجيواستراتيجية في إطار إدارة الصراع العالمي من أجل السيطرة والهيمنة على عالم ما بعد نهاية الحرب الباردة ضد مختلف المنافسين والأعداء، وقد وفرت لها هذه الذريعة التدخل المباشر في المناطق العربية والاسلامية في أفغانستان والعراق

وجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية، فضلا عن تواجدها الدائم في الشرق الأوسط والخليج العربي، وهذه المنطقة تعتبر من الناحية الجيوسياسية ذات أهمية قصوى في ترتيبات السيطرة والهيمنة على العالم.[19]

في هذا السياق انتشرت مقولات مرتبطة بالتقسيم الجيوسياسي للمصالح على غرار ما تسميه الأدبيات الغربية والأطلسية بمنطقة البلقان العالمي في إشارة إلى دول العالم الإسلامي ضمن المنظور الجيوسياسي للسيطرة على أوراسيا مبعث الصراع والشاغل الأمني المركزي للعالم، فالحافة الجنوبية الشرقية لأوراسيا هي ميدان حروب داخلية وإثنية ودينية خطيرة، وهي المحل الهندسي للأنظمة الأكثر تطرفا، كما أنها مصدر معظم العقائد المتعصبة والحركات المتشددة، ومنبع التهديد الحضاري للعالم الغربي الأطلسي، وكل ذلك في منطقة أطبق عليها البلقان العالمي أو قوس الأزمات الملتهب، وزاد التركيز عليها في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001.[20]

وعليه، تحول مفهوم القوس أو هلال الأزمات إلى مفهوم محوري في العلاقات الدولية والجيوبوليتيك في تسعينيات القرن الماضي، مع التصورات التي طرحها منظرون أمريكيون وغربيون لوصف مناطق جغرافية معينة تشكل حزاما أو منطقة متصلة، تثير قلقا إستراتيجية في معادلة التنافس والسيطرة بين القوى الكبرى، كما أنها تشكل ميزة إستراتيجية لمن يسيطر عليها. وفي وصف مناطق عدة كقوس الأزمات حسب موقعها على الخريطة، فان المناطق التي وصفت بقوس الأزمة، ارتبطت بشكل حصري بمناطق العالم الإسلامي، التي تعتبر المناطق الرخوة في البيئة الدولية والمستهدفة بالسيطرة الغربية بعد تحولات النظام الدولي ما بعد الاتحاد السوفياتي واعتبارها موئلا للاضطراب العالمي ومصدرا للإرهاب الدولي وللجماعات المتطرفة المسلحة ومن أبرزها تنظيم القاعدة والحركات المرتبطة بها.[21]

ثالثا: الظاهرة الإرهابية الجديدة في العالم العربي: نحو فهم جيوبوليتيكي

فرضت الظاهرة الإرهابية الجديدة المنتشرة في عدة دول عربية خاصة بعد أحداث الثورات العربية توجها جديدا لفهمها ومحاولة قراءتها وتفسير أنماطها الجديدة من

خلال مدخل جديد مقتضاه توفر الرؤية الجيوسياسية الواضحة لدى المنظمات الارهابية في المنطقة العربية. وفي هذا العنصر سنحاول استكناه هذه الرؤية الجيوسياسية وفهمها.

1 -قراءة جيوسياسية في المسارات التطورية للإرهاب في المنطقة العربية

ارتبطت التيارات والجماعات الإرهابية في العالم العربي في أنماطها الجديدة برؤية جيوبوليتيكية قلما تستخدم كمعطى معياري في دراسة الجماعات الشبيهة، فالناظر في أدبيات الحركات الإرهابية يلاحظ قيامها على رؤية جيوبوليتيكية لمناطق معينة في العالم ذات أهمية إستراتيجية وجغرافيا وتاريخية، من ناحية اعتبارها أرض للخلافة الاسلامية التاريخية، وارتباطها برؤية سلفية للحضارة الاسلامية وأمجادها الدينية، تستلهمها هذه الجماعات، مما يسهل عليها استقطاب الأتباع والانتشار والتوسع الجغرافي والقدرة على التعبئة، وذلك من خلال إعادة طرح مفهوم دولة الخلافة الاسلامية، وهي عبارة عن إستراتيجية جيوبوليتيكية ترتبط بالمجال المكاني والروحي لهذه الجماعات وأتباعها.[22]

ولفحص الرؤية الجيوبوليتيكية للمنظمات الإرهابية ومحاولة فهمها ننطلق من منظمة القاعدة باعتبارها المنظمة الأم التي تفرعت عنها باقي المنظمات والجماعات الإرهابية وصولا إلى الرؤية الجيوبوليتيكية لمنظمة داعش التي تسمى بالدولة الاسلامية في العراق والشام، فنجد أن مسارها الجيوبوليتيكي تطور عبر إستراتيجيتين أو رؤيتين مترابطتين.

تمثلت الإستراتيجية الأولى، في التمركز في ملاذات آمنة في السودان، ومن ثم في أفغانستان في ظل حركة طالبان، وبالتالي تخريج معسكرات التدريب وتنفيذ الهجمات المخطط لها عن بعد مثل تفجيرات الرياض، وتفجيرات مومباي، وتفجيرات ودار السلام عام 1998، وتفجير المدمرة كول عام 2000 في اليمن، وغيرها وصولا إلى هجمات11 سبتمبر 2001، وقد كان معظم المنفذين من خريجي معسكرات التدريب السابقة، وممن يعرفون بعضهم بعضا، ولا تهدف هذه الإستراتيجية إلى السيطرة المباشرة وإقامة

دولة باسم تلك المنظمات.[23] بعكس الرؤية الجيوسياسية الواضحة في إستراتيجية منظمة داعش الإرهابية التي قوامها محاولة إقامة كيان عبر السيطرة الجغرافية على الأرض.

2 -أحداث 11 سبتمبر 2001: التحول الثاني في الجهاد ضد الغرب عبر الدول

مثلما أشرنا من قبل، تعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 نقطة تحول رئيسية في مسار تطور الظاهرة الإرهابية الدولية، لجهة استراتيجيات المواجهة والانتشار، فبعد هذه الأحداث وما تلاها من غزو أمريكي للعالم الإسلامي واحتلال أفغانستان والعراق بشكل مباشر، ظهرت معادلة صراعية على نمط الفاعل الدول/ المنظمات دون الدول/ عبر الدول. في إطار الحرب الأمريكية على الإرهاب، أدى إلى ظهور نمط جديد من الحروب أطلق عليه الحروب اللامتماثلة حيث برزت الدولة الأمريكية وحلفائها في مواجهات منظمات مسلحة وأشخاص دون الدول، في إطار الحرب الأمريكية مع شبكة القاعدة بوصفها منظمة إرهابية دون الدولة، فمع بدأ هذه الحرب التي أدت إلى استهداف بنى القاعدة التحتية في أفغانستان، وتشتيت عناصرها، وقطع قنوات التمويل عنها، برز التحول لدى التنظيم إلى أسلوب لا مركزي، باعتماد إستراتيجية المنظمات العابرة للدول، ذات توجه جهادي مرتبط بمواقع جغرافية عديدة، حيث تشن العمليات الإرهابية وتنفيذ الاعتداءات حيث ظروف النشاط في كل مجال جغرافي على حدى دون الارتباط بالحركة الأم في القيادة والإشارة والتنظيم، وأدى تنفيذ عدة هجمات في لندن ومدريد، وبالي، وجربا، إلى ظهور أنماط جديدة في الحركات الإرهابية نستطيع تسميتها بالجيل الثاني، وقد منح الاحتلال الأمريكي للعراق فرصة ذهبية لانتشار هذه الحركات على نمط لا مركزي، وكان عاملا مساعدا في التجنيد والانتشار، مما أفرز قاعدات لا مركزية التنظيم والتخطيط والتنفيذ، ولكن ذات مركزية في العقيدة والولاء، على غرار القاعدة في بلاد الرافدين والقاعدة في جزيرة العرب، والقاعدة في بلاد الشام، والقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي والقاعدة في أوروبا.

3 -أحداث الربيع العربي ومسارات التحول الجيوبوليتيكية الجديدة

استمر تطور التنظيمات الإرهابية والجماعات الجهادية حسب مقتضيات التحولات الدولية والاقليمية والاستقطابات الجيوبوليتيكية في السياسة العالمية، وقد مثلت الأحداث الموسمة بالربيع العربي وما رافقها من احتجاجات شعبية وسقوط أنظمة سياسية إلى بروز تحول جديد في استراتيجيات الحركات الإرهابية في محاولة الاستيلاء على الدول التي شهدت هذه الأحداث خاصة في ليبيا والعراق، سوريا واليمن والصومال وبدرجة أقل مصر وتونس، ويبدو القصور الجيوبوليتيكي لهذه المنظمات الانتقال إلى تصور وبناء الدول عبر السيطرة الجغرافية، فبرز التوجه نحو خلق ملاذات آمنة جديدة عبر إنشاء دول أو السيطرة عليها في الصومال والعراق وسوريا، وتمثلت ذروة التطور الجيوبوليتيكي للمنظمات الإرهابية في إسناد دولة الخلافة الاسلامية في العراق والشام المعروفة اختصار"بداعش"، وإعلان قيامها عبر النمط التنظيمي والهيكلي السائد في دولة الخلافة الاسلامية القديمة، مثل تسمية الخليفة، وإنشاء الدواوين، وسك العملة، والتنظيم العسكري بمسميات جيش العسرة، وإنشاء وزارات للمالية، والحرب والتشريع وإقامة النظام الجنائي، والمعاملات حسب الشريعة الاسلامية، واتبعت في ذلك إستراتيجية تجميع المقاتلين ودعوتهم من مختلف البلدان والجنسيات إلى الجهاد ضمن صفوف الدولة الاسلامية في العراق والشام، وإعلام البيعة ووجوب الطاعة لزعيمها "أبو بكر البغدادي" بوصفه خليفة للمسلمين، ومن ثم العمل على السيطرة على أكبر مساحة جغرافية ممكنة لفرض الأمر الواقع وإنشاء مرتكز جغرافي لبعث الأجناد إلى مناطق التوسع في اليمن والسعودية والأردن وشمال إفريقيا ... الخ. وهي ذات الإستراتيجية التي اعتمدتها القاعدة في دعوتها على لسان زعيمها أيمن الظواهري في مناشدة المقاتلين وما سماهم بأسود الجهاد إلى تجميع صفوفهم والتوجه إلى الصومال، ومساعدة مركز الشباب التي أعلنت قيام الدولة الاسلامية في الصومال، ورغبتها في السيطرة على الفن في الإفريقي الذي يمثل اهتماما

جيوبوليتيكيا مستوحا من الأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقي في خريطة الصراع العالمي على المناطق الجغرافية الحيوية.[24]

إن هذه الرؤية الجيوبوليتيكية تعتبر تطورا لافتا في استراتيجيات الانتشار لدى المنظمات الإرهابية، تنبع من محاولة التواجد والسيطرة على بلاد بحرية عكس ما كان عليه الأمر في أفغانستان الدولة البرية المغلقة، [*] فالصومال تظل على منفذ بحري أساسي جيواستراتيجي هو القرن الإفريقي ومضيق باب المندب، وهو نفس ما تسعى إليه القاعدة في اليمن حيث تريد إيجاد موطئ قدم على بلد ذي موقع جيواستراتيجي مهم، ومن خلال إحداث تأثير جيبوليتيكي في السياسة العالمية باستهداف حركة النقل العالمية عبر مضيقي عدن وباب المندب، علاوة على ذلك يمكن وصله بقلب العالم الإسلامي في الدولة الاسلامية في العراق والشام، وبالتالي نكون بإزاء تطبيق لأعرق النظريات الجيوبوليتيكية في العالم مثل قلب العالم دول الحافة، فالسيطرة على قلب العالم تقتضي تأمين مناطق الهلال البحرية في اليمن والصومال والقرن الإفريقي والبحر الأحمر والبحر المتوسط وشمال إفريقيا.

فمثلا تتحلى الرؤية الجيوبوليتيكية للقاعدة في اليمن على مبررات متعددة مثل العامل الجغرافي المتوسط بالطبيعة الحصينة خاصة في الجنوب، وامتلاكه الحدود مفتوحة تزيد على 4000 كلم، وتتحكم بواحدة من أهم البوابات البحرية عبر مصب باب المغرب، مما يجعل من الجغرافيا اليمنية منطقة ارتكاز لاستهداف وضرب الأعداء في الجزيرة العربية عامة وتوسيع ميدان الغنائم إلى البحر، مما يمكن غنمه من التجارة وحركة النقل العالمية التي تعبر مضيق باب المندب وخليج عدن، وعليه، يتضح أنه للحركات الجهادية والمنظمات الإرهابية في العالم العربي رؤية جيوبوليتيكية للمناطق المختلفة في العالم. وهو ما ينطبق على قوس الأزمات الممتد من الصومال إلى الهند، ومن المغرب إلى غرب الصين، والذي يضم عدة ملاذات آمنة ويقسم جيوبوليتيكيا إلى جزيرة الجهاد ومناطق الحافة المحيطة بقلب منطقة الجهاد، والسيطرة على هذه

المناطق تجعل المعركة مستمرة وطويلة وتؤمن الانتقال الاستراتيجي حسب معطيات وظروف المواجهة مع الأنظمة أو الدول الكبرى برؤية جيوبوليتيكية محظى.[25]

خاتمة

حاول هذا المقال الكشف عن الخلفيات الثقافية التي صاغت توجهات الظاهرة الإرهابية في العالم الإسلامي والعربي، وارتباطها بالتحولات الدولية التي طالت النظام العالمي في فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة، وتأسست على افتراض بحث الغرب عن العدو الضروري أو البديل للاتحاد السوفيتي والشيوعية المنهارة، حيث وجد ضالته في دول العالم الإسلامي والعربي، التي اعتبرتها الدوائر لفكرية والسياسية في الغرب مصدرا ومبعثا للتحدي الحضاري للهيمنة الغربية الأطلسية.

في خضم تلك التحولات تصاعدت مقولات الصراع الحضاري القادمة بين الغرب والإسلام، بسب أن دول العالم الإسلامي هي مصدر الإرهاب العالمي، وهو ما أدى إلى حدوث تدخلات عسكرية من قبل الدول الغربية في عدة بلدان إسلامية وعربية تحت ذريعة محاربة الإرهاب، وهي في الحقيقة عبارة عن حروب استباقية للسيطرة وإعادة احتلال العالم الإسلامي ونهب خيراته والسيطرة على موارده ومصادر الطاقة، وهذا ما ولد رد فعل في شكل حركات جهاد ضد الغرب، ما لبثت أن تحولت إلى حركات إرهابية استخدمت كذريعة للتدخل العسكري في هذه الدول، الأمر الذي أدى إلى اتساع وتنامي وانتشار هذه الحركات والمنظمات الإرهابية المتطرفة في العالم العربي والامتداد الجغرافي في العالم الإسلامي.

كما خلصت هذه الورقة، إلى أن الأنماط الجديدة للظاهرة الإرهابية تنطلق من رؤى جيوبوليتيكية محددة تعتبر تطورا لافتا لدى التنظيمات الإرهابية، حيث تتقاطع استراتيجياتها مع استراتيجيات إقليمية ودولية عالمية تشكل خطرا كبيرا على الدول الوطنية في المنطقة العربية والاسلامية يجب تحديد توجهاتها وكشفها وإعداد استراتيجيات متعددة الأبعاد لمجابهة تهديداتها.

الهوامش:

(1)- محمد سعيدى، مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى ألسنة الحضارة وثقافة السلام، بيروت، مركز دبي، الطبعة الأولى، 2006، ص 12.

(2)- المرجع نفسه، ص 14.

(3)- محمد سعيدى، مرجع سبق ذكره، ص 13.

(4)-صامويل هنتغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك عبيدة أبو شهيوة، محمود محمد خلف، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1999، ص 37.

(5)- يحي سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص 22.

(6)- للمزيد من التفصيل حول بداية الحروب الحضارية انظر: المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الاولى، الرباط: دار الشروق، الطبعة الاولى، 1991.

(7)- يوكسيل سيز غين، هل يشكل الإسلام تهديدا للغرب؟، ترجمة: د.هشام دجاني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 107، 2001، ص 135.

(8)- ناظم الجاسور، "الأبعاد الجيواستراتيجية لحوار المتوسط"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتسويق، العدد 106، ربيع 2002، ص 183.

(9)- يوكسيل سيز غين، مرجع سبق ذكره، ص 138.

(10)- روبيرت كيوهان، مبني للمجهول، مآلات القيادة الأمريكية للنظام الدولي، ترجمة: أحمد حمد أبوزيد، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 404، أكتوبر 2012، ص 52.

(11)- محمد المصالحة، " التطورات في البنية الدولية وتأثيرها في ظاهرة الإرهاب"، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 21، شتاء 2009، المرجع نفسه، ص 61.

(12)- محمد المصالحة، المرجع نفسه، ص 63.

(13)- زايد عبيد الله مصباح، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، بيروت: دار الرواد، 2002، ص 393.

(14)- Robert Jervis "Understanding the Bushdoctrine", political science quarterly, 118(Fall 2003)-, p-p, 366- 369.

(15)- محمد المصالحة، مرجع سبق ذكره، ص 66.

(16)- روبيرت كيوهان، المرجع نفسه، ص 52.

(17)- ميشيل شوسو دوفيسكي، أبو مصعب الزرقاوي، "من كان؟ هل مصرعه جزء من حرب نفسية للبنتاغون"، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 329، جويلية 2006، ص 20.

(18)- المرجع نفسه.

(19)- محمد مصالحة، مرجع سبق ذكره، ص 62.

(20)- زبيجنيو بريجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم: دار الكتاب العربي، 2004، ص 55.

(21)- مراد بطل الشيشاني، "القاعدة وقوس الأزمات بين الصومال إلى باكستان"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 177، جويلية 2009، ص 112.

(22)- مراد بطل الشيشاني، مرجع سبق ذكره، ص 122.

(23)- المرجع نفسه، ص 122.

(24)- مراد بطل الشيشاني، مرجع سبق ذكره، ص 124.

(25)- مراد بطل الشيشاني، المرجع نفسه، ص 125.